مجلة العلوم الشرعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الشرعية مسلاتة

العدد السابع

يونيــو 2020

مجلة علميّة محكّمة تصدر عن كلية العلوم الشرعية مسلاتة

المجلة ترحب بما يرد إليها من أبحاث، وهي على استعداد لنشرها بعد التحكيم.

المجلة تحترم كل الاحترام آراء المحكمين وتعمل بمقتضاها.

كافة الآراء والأفكار المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تتحمل المجلة تبعاتها.

يتحمل الباحث مسؤولية الأمانة العلمية وهو المسؤول عما ينشر له.

البحوث المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر.

حقوق الطبع محفوظة لكلية العلوم الشرعية بمسلاتة.

جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة السيرة النبوية"

﴿دراسة في أنماط التأليف في السيرة النبوية لدى علماء الغرب الإسلامي﴾

ذ. محمـــــــد أرَارُو

جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة السيرة النبوية"

((دراسة في أنماط التأليف في السيرة النبوية لدى علماء الغرب الإسلامي))

ذ. محمد أرَارُو

باحث في سلك الدكتوراه ،أستاذ في التعليم العتيق تطوان / المغرب.

mohamed.said.ararou@gmail.com

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة السيرة النبوية، وبيان أنماط من تآليفه المتعددة في هذا الجانب، ذلك لأن علماء المغرب لم يكونو مجرد نقلة آمين لا أثر لهم، بل كانوا نقادا مبدعين، ومهرة محققين.

فمصنفاتهم في السيرة النبوية لم تأت من أجل التأليف وحسب، بل جاءت في سياق القيام بالواجب تجاه سيرة نبيهم عليه الصلاة والسلام من إحقاق الحق وإبطال الباطل، ورد الشبهات التي نالت من جانب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيان علو منزلته وشرف مكانته.

إن مؤلفات علماء الغرب الإسلامي في هذا الصدد هي؛ عبارة عن تحقيقات وشروحات دقيقة ورصينة لبعض أمهات كتب السيرة النبوية في جانبها الأول، وأما في جانبها الثاني فهي؛ تعالج واقعها وتحل مشاكل عصرها، لذا ارتأيت إبراز أهم السمات التي اختصت بها هذه المصنفات المغربية.

كما يحاول البحث إعطاء صورة واضحة عن مجالات التأليف عند علماء الغرب الإسلامي في السيرة النبوية، وما يدخل تحت مفهومها العام من الكتب التي اهتمت بعرض أحداث السيرة النبوية الشريفة، والحديث عن وقائعها التاريخية، واستخلاص الحِكم والأحكام منها، وهو: (ما يسمى بفقه السيرة)، بالإضافة إلى كتب الدلائل والمعجزات، والشمائل الشريفة، وكتب المواليد ورد الشبهات، وذكر سيرة أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

الكلمات المفتاحية: جهود علماء - الغرب الإسلامي – السيرة النبوية.

المقدمة:

لبسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تعتبر السيرة النبوية هي المنهل العذب، الذي يرتوي منه المسلم الذي يَغير على دينه وكتابه وسنة نبيه. منها يشفي غليله، وبها ينال مراده، وبها يكتسب منهج حياته، لأنه سيقتدي بنبيه ورسوله في كل شؤون حياته؛ الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...، وتصبح السيرة النبوية لدارسيها والمشتغل بها منهجا دعويا يتمكن به من تحقيق النجاح في مسيرة الدعوة ونشر الدين السمح، ولهذا كان لزاما علينا الرجوع إلى سيرة نبينا وجعلها منهج حياة، ولا نكتفي بدراستها كمتصفحين متطلعين لمعرفة أحداث تاريخية فحسب، دون تحقيق روحها الذي هو جعلها منهج حياة.

فالسيرة النبوية الطاهرة هي التطبيق العملي للقرآن الكريم ولصحيح السنة، لذا كان لزاما على كل مسلم الاقتداء بنبيه وحبيبه كما قال تعالى في محكم كتابه: (**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**) [الأحزاب:21]. وورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان: "يُنَادِيهِمْ يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ"[1]. وقال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**) [الأنبياء: 107].

إن دراسة السيرة النبوية هي تطبيق حي لشرائع الإسلام، فالكتاب والسنة هما المنهج النظري للتشريع الإسلامي المتلقي من الوحي الإلهي، والسيرة النبوية هي تطبيق عملي لهما، فهي السنة الفعلية التطبيقية لسيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه. وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ذلك بقولها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت للسائل: "ألست تقرأ القرآن؟" قلت: بلى، قالت: "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"[2].

[1] أخرجه الدارمي في مسنده المعروف بـ(سنن الدارمي) للإمام الدارمي، تحت رقم: (15) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط: 1. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية: 2000م. ج: 1. ص: 166. وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ: "يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة"، وعلق عليه بقوله: "هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعا بمالك بن سعير، والتفرد من الثقات مقبول"، وقال الذهبي: "على شرطهما وتفرد الثقة مقبول"، المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، رقم: (100)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: 1، دار الكتب العلمية- بيروت: 1411هـ-1990م، ج: 1، ص: 91.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم: (746)، ج: 1، ص: 513.

فمن خلال سيرته صلى الله عليه وسلم يتجلى لنا الإنسان الذي يمارس إنسانيته كاملة في أبهى صورها المشرقة، وأبعادها المتفاعلة غير متجرد من كل أحواله البشرية، فهو صلى الله عليه وسلم مثل الإنسانية في أعلى قمة النزاهة، وهو المثل الأعلى للبشرية، وصدق الإمام البصيري رحمه الله حين قال:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ** وأنه خير خلق الله كلهم[1].

أهمية الموضوع:

لا شك أن ما كتبه علماء الغرب الإسلامي من مؤلفات عظيمة في مجال السيرة النبوية يكتسي أهمية علمية رفيعة، ذلك أن مصنفاتهم تتميز بالتنوع في المضمون بحيث عالجت جل مواضيع السيرة النبوية إن لم نقل كلها، كما امتازت بالتثبت في النقل، والتحقيق في النقد، والمنهجية العلمية الفريدة في العرض.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى بحث يتسم بالاختصار والتقريب يلقي الضوء على جهود هؤلاء الأعلام الكبار، ويبرز أهمية مصنفاتهم التي اتسمت بالتنوع والابتكار، فشملت معظم مواضيع السيرة النبوية الشريفة، وهو ما يبين لنا مدى العناية الكبيرة التي أولاها علماء الغرب الإسلامي لدراسة الجانب الشريف لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. علاوة على أن هذا البحث جاء في سياق إبراز الخصوصية المغربية في التصنيف في مجال السيرة النبوية.

أسباب اختياره:

لم يأت هذا البحث محض الصدفة ولا لمجرد الكتابة بل جاء لدوافع علمية وأسباب موضوعية، يمكن إيراد جملة منها في النقاط التالية:

أ. لا شك أن خدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بقصد التقرب إلى الله تعالى يعتبر طاعة من الطاعات التي يتقرب بها إلى لله عز وجل.

ب. إبراز النبوغ المغربي من خلال الحديث عن جهود علماء الغرب الإسلامي وبيان المكانة العلمية التي كانوا يحظون بها، والتنوع الحاصل في مؤلفاتهم في جميع المجالات ومنها مجال السيرة النبوية.

ج. تقريب المعلومة للباحثين في هذا الميدان خصوصا الذين لا يزالون في بداية الطريق، ليتبينوا ما كان عليه علماؤهم من الإجادة والتحقيق والتنوع في التصنيف.

منهجية البحث:

[1] بردة المديح للإمام البصيري، ص: 11. منشورات: دار التراث البوديلمي.

إن طبيعة مثل هذا البحوث يتطلب خوضها اعتماد مجموعة من المناهج؛ يعتبر أهمها (المنهج التاريخي والتوثيقي) لأنها تعرض وقائع تاريخية تحتاج إلى توثيق، كما أن البحث يتناول وصف مؤلفات علماء الغرب الإسلامي في مجال السيرة النبوية وإيراد جملة من الآراء والأقوال المتعلقة بذلك مع المقارنة بينها، مما يستدعي مراعاة المنهج الوصفي والتحليلي.

خطة البحث:

جاء هذا البحث المختصر في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

تناولت في المبحث الأول– الحديث عن القيمة العلمية للمؤلفات المغربية في السيرة النبوية.

وأما المبحث الثاني- فخصصته للحديث عن جملة من أنواع المصنفات المغربية في سيرة خير البشرية. مع ذكر نماذج من اجتهاداتهم واختياراتهم العلمية الغزيرة الفوائد والفرائد.

ثم خاتمة: ذكرت فيها أهم الخلاصات والاستنتاجت مع بعض التوصيات والمقترحات.

المبحث الأول– القيمة العلمية للمؤلفات المغربية:

المطلب الأول- بيان أهمية دراسة السيرة النبوية:

بادئ ذي بدء أود الإشارة إلى أهمية دراسة السيرة النبوية الشريفة والعناية بها، والاهتمام بتعليمها للصغار والكبار، لأنها التطبيق العملي للقرآن الكريم والسنة النبوية، فهي مجال التشريع الفعلي الذي لا يمكن فهم الإسلام فهما صحيحا دون الاشتغال بالسيرة النبوية والتعمق في تحليل وقائعها واستخلاص الدروس والعبر منها.

ذلك أن السيرة النبوية تنقسم إلى قسمين: قسم يتعلق؛ بعرض الوقائع والأحداث. وقسم آخر؛ يرتبط؛ باستخلاص الحكم والأحكام، والدروس والعبر.

ويمكن استخلاص مكانة وأهميّة السّيرة النبويّة في فهم الإسلام في النقاط التالية:

1. فهم شخصية الرسول صلّى الله عليه وسلم (النبوية) من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه رسول أيده الله بوحي من عنده وتوفيق من لدنه.

2. أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة، كي يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه. ولا ريب أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى في ناحية من نواحي الحياة فإنه

واجده كله في حَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أعظم ما يكون الوضوح والكمال، ولذا جعله الله قدوة للإنسانية كلها، فقال: **(لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)** [الأحزاب:21].

3. دراسة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام تعين الإنسان على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده، إذ إن كثيرا من آيات القرآن إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وموقفه منها.

4. سيحصل للمسلم من خلال دراسة سيرته صلّى الله عليه وسلم أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان منها متعلقا بالعقيدة أو الأحكام والأخلاق، إذ لا ريب أن حياته صلّى الله عليه وسلم إنما هي صورة مجسدة لمجموع مبادىء الإسلام وأحكامه.

5. وجود نموذج حي عن طرائق التربية والتعليم للمعلم والداعية الإسلامي، فلقد كان محمد صلّى الله عليه وسلم معلما ناصحا، ومربيا فاضلا لم يأل جهدا في تلمس إحدى الطرق الصالحة إلى ذلك خلال مختلف مراحل دعوته.

وإن من أهم ما يجعل سيرته صلّى الله عليه وسلم وافية بتحقيق هذه الأهداف كلها أن سيرته عليه الصلاة والسلام شاملة لكل النواحي الإنسانية والاجتماعية التي توجد في الإنسان من حيث إنه فرد مستقل بذاته أو من حيث إنه عضو فعال في المجتمع[1].

كما يمكن اقتراح خطة منهجية لدراسة السيرة النبوية الشريفة قصد تقريب دراسة السيرة النبوية الشريفة، وذلك يتلخص في معرفة أمرين:

1. الدور المكي: ثلاث عشرة سنة تقريبا.

2. الدور المدني: عشر سنوات كاملة.

وكل دور من هذين الدورين يشتمل على مراحل لكل منها خصائص تمتاز بها عن غيرها، ويظهر ذلك جليا بعد النظر الدقيق في الظروف التي مرت بها الدعوة خلال الدورين.

ويمكن تقسيم الدور المكي إلى ثلاث مراحل:

أ. مرحلة الدعوة السرية، ثلاث سنين.

ب. مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة، من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى أواخر السنة العاشرة.

[1] فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي، ط: 25، دار الفكر - دمشق: 1426هـ ص: 15، بتصرف.

ج. مرحلة الدعوة خارج مكة، وفشوها فيهم، من أواخر السنة العاشرة من النبوة إلى هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

ويمكن تقسيم العهد المدني أيضا إلى ثلاث مراحل:

أ. مرحلة أثيرت فيها القلاقل والفتن، وأقيمت فيها العراقيل من الداخل، وزحف فيها الأعداء إلى المدينة لاستئصال خضرائها من الخارج. وهذه المرحلة تنتهي إلى صلح الحديبية في ذي القعدة سنة 6 من الهجرة.

ب. مرحلة الهدنة مع الزعامة الوثنية، وتنتهي بفتح مكة، في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وهي مرحلة دعوة الملوك إلى الإسلام.

ج. مرحلة دخول الناس في دين الله أفواجا، وهي مرحلة توافد القبائل والأقوام إلى المدينة، وهذه المرحلة تمتد إلى انتهاء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول سنة 11 من الهجرة[1].

المطلب الثاني– أهمية التأنيف المغربي في السيرة النبوية:

إن المصنفات المغربية في السيرة النبوية لم تأت من أجل التأليف ولمجرد التصنيف، بلا سبب واقعي، ولا داع علمي معقول، بل جاءت في سياق القيام بالواجب تجاه سيرة نبيهم عليه الصلاة والسلام من بيان الحق ودحض الشبهات والأباطل التي ينتحلها الغاوون، ونقض تأويلات المغرضين والجاهلين، ورد انتحال المبطلين.

تتجلى مكانة التآليف المغربية لكونها تحقيقات وشروحات دقيقة ورصينة لأمهات كتب السيرة النبوية هذا من جانب، ومن جانب ثان؛ اكتست أهمية قصوى لارتباطها بواقعها ومعالجة مشاكل عصرها، ويمكن لنا في هذا المبحث إبراز بعض السمات والمميزات التي امتازت بها هذه المصنفات المغربية، فلم تكن مجرد نقول وجمع ولف بل اتسمت بخصائص كثيرة سأذكر أهمها فيما يلي:

أولا- اعتماد صحة النقل والتدقيق في الروايات: وهذا يتضح بجلاء عند ما نجد المشتغلين بالسيرة النبوية هم علماء كبار في السنة وعلم الرجال. أمثال: القاضي عياض السبتي (ت:544ه)، والإمام السهيلي (ت:581)، وابن القطان الفاسي (ت:628ه)، وابن حزم الأندلسي (ت:456ه)، وحافظ المغرب ابن عبد البر (ت:461ه)، وغيرهم من أهل العلم والحفظ والتقوى والورع، ممن سلم لهم بالإمامة في العلم شرقا وغربا، رحم الله الجميع ونفعنا بعلمهم.

ثانيا- التحقيق والتعقب: فعلماء المغرب وإن كانوا اعتمدوا فيما كتبوه في السيرة الشريفة المطهرة على علماء المشرق إلا أنهم لم يؤلفوا من أجل التأليف والإعادة والجمع واللف فقط، بل كانوا محققين متعقبين لما

[1] الرحيق المختوم للمباركفوري، ط: دار الهلال – بيروت، ط: 1. ص: 64.

أخذوه من المشارقة، ومن هنا يمكن أن تصدق عليهم تلك المقولة المشهورة: "**المغاربة يحققون ما ألفه المشارقة**"، فمعلوم أن المشرق مهبط الوحي وأن علماءه لهم السبق في جمع سنة وسيرة الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهذا لا يعني أن المغاربة اكتفوا بما أخذوه من علماء المشرق ولم يكن لهم دور في ذلك، لكن المغاربة أبدعوا وأمتعوا وصنفوا وأحكموا ونوعوا في هذا الجانب غاية الإبداع والإتقان والإحكام والتحقيق، والعرب بالباب؛ فكتبهم خير دليل على هذا الأمر.

ولا أدل على ذلك مما كتبه الإمام السهيلي على كتاب ابن هشام في السيرة الذي هو بدوره مبني على سيرة ابن إسحاق، فالإمام السهيلي رحمه الله شارح محقق متعقب يصحح ويضعف، يؤيد وينتقد، يقبل ويرد، كما أنه يبين غوامض هذا الكتاب ويشرح مشكلاته ويستخرج فقهه، ويظهر فرائده وفوائده. وكمثال يؤكد هذا الأمر ويؤيده، ما ذكره الإمام السهيلي رحمه الله حول تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم (بمحمد وأحمد)، من تحقيق لغوية دقيق يتعلق ببيان اشتقاق الاسمين، قائلا: "وهذا الاسم – يعني محمد- منقول من الصفة فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مُفَعَّلٌ مثل مُضَرّبٍ وَمُمَدّحٍ إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة. وأما أحمد فهو اسمه صلى الله عليه وسلم الذي سمي به على لسان عيسى وموسى عليهما السلام فإنه منقول أيضا من الصفة التي معناها التفضيل، فمعنى أحمد أي أحمد الحامدين لربه وكذلك هو المعنى، لأنه تفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها، ولذلك يعقد له لواء الحمد"[1].

ثم بين الإمام السهيلي رحمه الله النكتة الفريدة في تقديم محمد على أحمد، وأن الله سبحانه وتعالى سماه محمدا قبل أن يسمي به نفسه، لذا كان ذلك علما من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم؛ "إذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود عليه السلام في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ. ثم إنه لم يكن محمدا، حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسى صلى الله عليه وسلم فقال اسمه أحمد، وذكره موسى صلى الله عليه وسلم حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلني من أمة أحمد، فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل"[2].

[1] الروض الأنف للسهيلي، ج: 1، ص: 96.

[2] المصدر السابق نفسه، ج: 1، ص: 97.

وهاهو الإمام العلم القاضي عياض السبتي نجم المغرب الساطع وكوكبه المضيء به عرف وعليه اعتماد أهل المشرق بعده، فهو لم ينقل شمائل الإمام الترمذي مكتفيا بها، بل تحدث عن شمائل الرسول مبدعا ومحققا أتى بما لم تأت به الأوائل، سلم لكتابه العظيم النفع الموسوه بـ: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، كبار الأئمة الأعلام واعتمدوه في بابه، واشتهر به وطال صيته في الآفاق.

وقد جاء هذا الكتاب إجابة لأسئلة الواقع، فقد طُلِب من الإمام القاضي عياض رحمه الله جمع كتاب يتعلق بشمائل النبي صلى الله عليه وسلم،كما يبين ذلك في معرض حديثه عن سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله: "فإنك كررت علي السؤال في مجموع، يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من توقير وإكرام، وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر، وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال، وأبينه بتنزيل، صور وأمثال"[1].

ومثل هذا يقال فيما كتبه الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي (ت:633هـ) رحمه الله، في كتابه: "الحجج البينات في ذكر ما في أعضاء الرسول صلى الله عليه وسلم من المعجزات". خصصه للحديث عن خصوصيات أعضاء سيدنا رسول الله الشريفة صلى الله عليه وسلم، فقد تناول فيه الآيات والأحاديث والأخبار التي تحدثت عن أعضاء الحبيب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

ثالثا- الإبداع: فالمغاربة ألفوا في السيرة النبوية بطريقة بديعة فأبدعوا العناوين والمواضيع والمناهج، "الروض الأنف" للسهيلي، و"الشفا في التعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض، و"الحجج البينات في ذكر ما في أعضاء الرسول صلى الله عليه وسلم من المعجزات" لأبي الخطاب ابن دحية الكلبي، و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر، و"تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء"، لابن خمير السبتي (ت:614)، ومن التصانيف الفريدة للمغاربة تأليفهم في اللباس النبوي، نجد ذلك في كتاب: "أزهار الكمامة في أخبار العمامة" للإمام أبي العباس أحمد بن محمد المقري (ت1041هـ)"[3].

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض. ط: دار الفكر للطباعة والنشر: 1988م. ج1. ص28.

[2] تنظر مقدمة كتاب: الحجج البينات في ذكر ما في أعضاء الرسول صلى الله عليه وسلم من المعجزات لابن دحية الكلبي، تحقيق: جمال عزوز. ط: 1. مكتبة العمرية العلمية: 2000م. ص: 169.

[3] صدر الكتاب عن مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة ضمن سلسلة مأثورات السلوك (8)، كتاب: "تراث المغاربة في سمياء اللباس النبوي" ويحمل عنوان: (أزهار الكمامة في أخبار العمامة) لأبي العباس أحمد بن محمد المقري (ت1041هـ)" دراسة وتحقيق: د. بدر المقري.

ففي هذه الكتب وغيرها سيجد الباحث أسلوبا فريدا، ومنهجا علميا رصينا، وطريقة عرض خاصة، وتأصيلا علمية قل نظيره. (هذا من إضافتي وليس مقتبسا)

رابعا- الشمولية: فالمغاربة اتسمت مؤلفاتهم في السيرة بالشمولية، فقد ألفوا في السيرة وكتبوا فيها المصنفات العظيمة ناقشوا كل ما يرتبط بالسيرة من جميع جوانبها ولم يتركوا جانبا من جوانبها دون بحث، فتحدثوا عن وقائعها وأحداثها، وعن المولد الشريف، وعن دلائل النبوة والمعجزات، وعن الشمائل والخصائص النبوية الشريفة، كما وقفوا موقف المدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عصمته، والرد على المنتقدين والمعترضين وأصحاب الشبهات. (هذا من إضافتي وليس مقتبسا)

وزيادة في بيان أهمية المؤلفات المغربية في السيرة النبوية أستعرض كلاما علميا رصينا وجميلا للدكتور محمد يسف حفظه الله في مقدمة أطروحته الموسومة بـ: "المصنفات المغربية في السيرة النبوية"، حيث ذكر أن القدر الذي وصلنا من مصنفات المغاربة في السيرة النبوية يكفي لأخذ فكرة عن الجهد والمكانة والمستوى. وأول ما يستحق أن أنبه عليه هنا، هو ما قد يتبادر إلى الذهن من أن علم السيرة، نشأ في المشرق وهو موطنه، تداولتها الأجيال من المشرق والمغرب، فما الذي بقي منه لعلماء المغرب، يوجه إليه هذا الاهتمام، وتصنف فيه العشرات من المصنفات[1]؟

يمكن القول: بأنهم في المراحل الأولى قدموا أجل الخدمات لما حملوه منها، شأنهم في العربية والفقه والأدب، في أصول فريدة موثقة من روايتهم. ثم إنهم خدموها توثيقا وشرحا وإسنادا، واستنباطا واستصفاء، وذلك يعني أنهم لم يأخذوا السيرة في روايتهم نفلا وتقليدا، بل نظروا فيها، وحرروا ما يحتاج إلى تحرير، وقابلوا المرويات المختلفة، فاستصفوا ما أجمعوا عليه، واجتهدوا فيما فيه خلاف على القواعد المتبعة للاجتهاد والترجيح[2].

المبحث الثاني- أنماط من المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومجالاتها المتنوعة:

إن مؤلفات علماء الغرب الإسلامي في السيرة النبوية وما يدخل تحت مفهومها العام من الكتب التي اهتمت بعرض أحداث السيرة الشريفة ووقائعها لسيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وكتب الدلائل والمعجزات، والشمائل الشريفة، وكتب المواليد، وسيرة أصحابه الكرام رضوان الله عليهم كثيرة جدا.

[1] المصنفات المغربية في السيرة النبوية محمد يسف ج: 1، ص: 9.

[2] المرجع السابق نفسه، ج: 1، ص: 9. وينظر أيضا، مجلة دعوة الحق، العدد: 260، ربيع النبوي 1407هـ/ نونبر 1986م.

فعلماء المغرب الكبار كان لهم اهتمام كبير بسيرة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام من جميع الجوانب، جمعا وتأصيلا وفقها واستنباطا وبيانا لحقوقه العظيمة والدفاع عن جانبه الشريف، والتفصيل في سيرة أصحابه الهداة المهتدين عليهم من الله الرحمة والرضوان.

إن المصنفات المغربية في السيرة النبوية العطرة جاءت متنوعة ومختلفة تناولت في مجموعها جميع مجالات السيرة، وهنا يمكننا وضع نماذج لكل جانب من الجوانب المتعلقة بالسيرة النبوية المطهرة، وذلك على الشكل التالي:

أولا – (وقائع السيرة النبوية وفقهها):

تعددت المؤلفات المغربية في هذا الجانب وسأقتصر على أهم ما سطره علماء الغرب الإسلامي في هذا الجانب من باب التمثيل لا الحصر:

النوذج الأول: (الروض الأنف) للإمام السهيلي.

يعتبر الإمام السهيلي من كبار علماء المغرب وحفاظ الحديث فيه، بارع في اللغة والأدب والتاريخ والتراجم والسيرة والحديث والفقه. لهج به الإمام الذهبي وأكثر من ذكره والاستدلال بكلامه خصوصا في كتابيه: "سير أعلام النبلاء"، و"تاريخ الإسلام" – والذهبي كما لا يخفى على الباحثين المتخصصين، لا يسلم لأحد ما لم يكن وحيد ظهره وفريد عصره-، وقد وصفه بقوله: "الحافظ صاحب المصنفات.. وكان عالمًا بالقراءات، واللُّغات، والغريب، بارعا فِي ذلك، كما تصدَّر للإقراء والتّدريس والحديث. وبعد صِيتُه، وجل قَدْره، كما أنه جمع بَيْنَ الرواية والدّراية، وحمل النّاس عنه، وكان مالكيّ المذهب"[1].

وقال الإمام الصفدي رحمه الله: " كفَّ بصره وهو ابْن سبع عشرة سنة...، له من المصنفات (الرَّوْض الْأنف) فِي شرح السِّيرَة وَهُوَ كتاب جليل جود فيه ما شاء ذكر في آخره أَنه استخرجه من نيف وعشْرين ومائة ديوان..."[2].

وأما فيما يتعلق بتسمية الكتاب وسبب تأليفه فيقول حاجي خليفة رحمه الله: سماه: **(الروض الأنف)** وهو: كتاب، مفيد، معتبر"[3].

[1] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، 731/12.

[2] الوافي بالوفيات، 101/18.

[3] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة: 1/ 917. ط: مكتبة المثنى- بغداد:1941م.

وفي معرض حديثه عن كتاب **(الروض الأنف)** ينقل –حاجي خليفة- قول الإمام السهيلي الذي شرح فيه سياق تأليفه لهذا الكتاب قائلا: "فإني انتحيت في هذا الإملاء بعد الاستخارة إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحاق المطلبي، ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري النسابة ما بلغني علمه ويسر لي فهمه من لفظ غريب أو إعراب غامض أو كلام مستغلق أو نسب عويص. وكان بدء إملائي هذا الكتاب في محرم سنة تسع وستين وخمسمائة، وكان الفراغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام تحصل فيه من فوائد العلوم والآداب وأسماء الرجال والأنساب ومن الفقه الباطن اللباب وتعليل النحو وصنعة الإعراب ما هو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا أو نحوها"[1].

فالإمام السهيلي قد عني بكتاب السيرة لابن هشام وتناوله على نحو جديد ونهج آخر، وهو بمنزلة الشرح والتعليق عليه، فوضع كتابه (الروض الأنف) في ظل مجهودي ابن إسحاق وابن هشام، يتعقبهما فيما أخبرا بالتحرير والضبط، ثم الشرح والزيادة، فجاء عمله هذا كتابا آخر في السيرة بحجمه وكثرة ما حواه من آراء، تشهد لصاحبها بطول الباع، وكثرة الاطلاع[2].

وفي هذا السياق يقول الدكتور محمد يسف: " فشرح السهيلي للسيرة، شرح إمام حافظ محدث فقيه لغوي، وليس رواية فحسب، ففي مشاهد السيرة ومواقفها، قدم معها فصولا شارحة بحيث يمكن استخلاص كتب مفردة منه في فقه السيرة، وفي شواهدها والأمالي عليها"[3].

ومما أعطى لهذا الكتاب أهمية بالغة كونه: اشتغل على أهم مصدر في السيرة النبوية، سيرة ابن هشام (ت:213هـ)، الذي لخص سيرة ابن إسحاق (ت:151هـ).

كتابه هذا جمٌّ الفوائد، عديد المنافع؛ إذ ضمنهُ جملةً من مختلف العلوم الشرعية، والمعارف الإسلامية، كما يتجلى ذلك من خلال التمثيل لذلك، ففي تعليقه على كلام الإمام ابن هشام: "ابتداء تنزيل القرآن، متى نزل القرآن؟"[4]. يقول: وذكر –ابن هشام- قول الله تعالى: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ**) [البقرة: 185]. إلى آخر الآية مستشهدا بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان وفي ليلة القدر من رمضان. ثم يعقب عليه قائلا: وهذا يحمل تأويلين؛ **أحدهما:** أن يكون أراد بدء النزول وأوله لأن القرآن نزل في أكثر من

[1] المرجع السابق نفسه: 2 / 1012.

[2] مقدمة الروض الأنف لعمر عبد السلام السلامي، 1/ 7. ط: 1. دار إحياء التراث العربي، بيروت: 2000م.

[3] المصنفات المغربية في السيرة النبوية محمد يسف، مجلة دعوة الحق، العدد: 260، نونبر 1986م.

[4] السيرة النبوية لابن هشام، 1 / 273. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي: 1990م.

عشرين سنة في رمضان وغيره. **والثاني:** ما قاله ابن عباس: أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة مكنونا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ثم نزلت منه الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين والنوازل الحادثة إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم وهذا التأويل أشبه بالظاهر وأصح في النقل والله أعلم[1].

وأكتفي بهذا القدر تمثيلا لا حصرا لأن هذا الكتاب الجليل القدر يمكن إنجاز أطروحة علمية موسعة، من أجل استخراج اختيارات الإمام السهيلي رحمه الله تعالى العلمية في مجالات متعددة، كاللغة والأدب والتاريخ والأنساب والسيرة التي هي المقصد الأساس من الكتاب، فله آراء علمية ماتعة وتحقيقات فريدة، وتعليقات جليلة على سيرة ابن هشام، استعرض من خلالها فقه السيرة النبوية الذي هو روح أحداثها ووقائعها، وإنما أطلت الحديث قليلا عنه نظرا لما يكتسيه من أهمية بالغة، وقلة الاشتغال به في أوساط الباحثين المعاصرين. (هذا النص من تعليقي وليس مقتبسا)

النموذج الثاني: (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء)، للإمام أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي رحمه الله (ت: 634هـ).

نبذة عن الكتاب: فهو كتاب في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عمل مصنفه على سرد سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر نسبه ومولده وصفته ومبعثه، وخصائصه وأعلام نبوته ومغازيه وأيامه إلى أن قبض عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وعرض للمغازي والمعارك التي حصلت في أيام خلافتهم.

يوضح المؤلف في مقدمة هذا الكتاب مرماه ومقصده من تأليفه ومنهجه فيه بقوله: "وهذا كتاب ذهبت فيه إلى إيقاع الإقناع، وإمتاع النفوس والأسماع، باتساق الخبر عن سيرة رسول صلى الله عليه وسلم، وذكر نسبه ومولده وصفته ومبعثه، وكثير من خصائصه، وأعلام نبوته ومغازيه، وأيامه من لدن مولده إلى أن استأثر الله به وقبض روحه الطيبة إليه، صلوات الله وبركاته عليه. مقدما لذلك ما يجب تقديمه، ومتمما من ذكر أوَّليَّته المباركة بلدا ومَحتِدا، بما يحسن علمه وتعليمه، ملخصا جميعه من كتب أئمة هذا الشأن الذين صرفوا إليه اعتناءهم، واستنفذوا في آناءهم، ككتاب محمد بن إسحاق، الذي تولى عبد الملك بن هشام تهذيبه

[1] الروض الأنف: 2 / 271.

واختصاره، وكتاب موسى بن عقبة، الذي استحسن الأئمة اقتصاده واقتصاره، وغيرهما من المجموعات التي لا يديم الإنصاف قصد جامعها ولا يذم الاختبار اختياره"[1].

ثانيا – (الشمائل):

كتاب: "الشفا بتعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض رحمه الله. **لعلنا إن اكتفينا بذكر كتاب الشفاء، ووقفنا عنده واستخلصنا ما اشتمل عليه من علم غزير وفوائد جمة قل أن توجد في غيره، لم يبعد أن نقول إنه؛ (أعظم كتاب يتعلق بشمائل النبي صلى الله عليه وسلم وبيان حقوقه).** وقد تكفل الإمام القاضي عياض رحمه الله ببيان سبب تأليفه لهذا الكتاب والمواضع التي اشتمل عليها، وذلك في مقدمته، فقد قال جوابا لمن سأله: "فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من توقير وإكرام، وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر، وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال، وأبينه بتنزيل صور وأمثال[2].

ثم بين الإمام القاضي عياض للسائل خطورة الموضوع وما يتطلبه الخوض فيه من استعداد علمي وتمكن من ناصية العلوم، ذلك أن الموضوع ينعلق بالجانب الشريف لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث فيه ليس هو كأي حديث؟ على اعتبار أن أصغر خطأ قد يؤدي لما لا يحمد عقباه، لذا جاء كلام القاضي عياض في غاية الحذر مبينا صعوبة الإقدام على مثل هذا الأمر: "فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا إمرا، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا، وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا، ملأ قلبي رعبا، فإن الكلام في ذلك يستدعي تقدير أصول، وتحرير فصول، والكشف عن غوامض ودقائق، من علم الحقائق، مما يجب للنبي ويضاف إليه، أو يمتنع أو يجوز عليه، ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة، والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية، وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا، وتقصر بها الخطا، ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد، ومداحض تزل بها الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد"[3].

وبعد أخذ ورد وتصوير لخطورة الوضع، يجيب السائل إلى سؤاله رجاء اكتساب الثواب والتعريف بقدر الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وبيان خلقه العظيم وخصائصه الشريفة، ويعلن شروعه في الأمر:

---

[1] الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي: 1/ 6، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي. ط: 1. عالم الكتب - بيروت - 1417هـ.

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص: 47. حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبده علي كوشك، ط1، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم: 1434هـ/2013م.

[3] المصدر السابق نفسه، ص: 47.

"فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض، مؤديا من ذلك الحق المفترض، اختلستها على استعجال لما المرء بصدده..."[1].

وبالجملة فإن الإمام القاضي عياض في كتابه: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) لم يكرر رواية الشمائل الترمذية فحسب، بل جمع الطرق والأسانيد، واستصفى ما هو من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وشمائله.

ثالثا – (دلائل النبوات):

ألف المغاربة في هذا الجانب مؤلفات عدة فبالإضافة إلى ما كتبه -القاضي عياض رحمه الله في كتابه الشفا، فهو وإن كان يتعلق بالشمائل النبوية بالأساس ففيه حديث مطول عن دلائل النبوة ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم- هناك مؤلفات أخرى لعلماء الغرب الإسلامي مرتبطة بهذا الجانب، ومنها:

النموذج الأول: (أعلام النبوة). لسليمان بن أبي عصفور الفراء المعتزلي (ت269هـ)، قال عنه الدكتور محمد يسف: "وهذا أول كتاب نلقاه للمغاربة في أعلام النبوة، ولعله أول مصنف العلام استقلالا، وكانت من قبله تدرج في عموم السيرة النبوية، وتاريخ الإسلام ودواوين الحديث الجامعة.. كما ذكر أنه: "لم يظهر أي أثر لكتاب ابن أبي عصفور في مصنفات من أتى بعده ممن ألفوا في أعلام النبوة"[2].

وإذا كان هذا الكتاب الذي يحمل صاحبه النحلة الاعتزالية يعتبر من أوائل ما أؤلف في أعلام النبوة -وفي هذا السياق جاء ذكره في هذا البحث-، فإن هناك مؤلفات أخرى تحمل هذا العنوان لعلماء سنيين مغاربة إلا أنها متأخرة عن كتاب ابن عصفور هذا. وعلى سبيل المثال هناك كتاب: (أعلام النبوة ودلائل الرسالة) لأبي المطرف ابن فطيس القرطبي (ت402هـ)[3]، وهناك مؤلفات عديدة في هذا المجال تحتاج لبحث خاص من أجل إلقاء نظرة شاملة عليها.

النموذج الثاني: "الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات"؛ لأبي الخطاب عمر بن الحسن ابن دحية الكلبي الأندلسي السبتي رحمه الله تعالى (ت: 633هـ). يبين الحافظ ابن دحية رضي الله عنه بواعث تأليفه للكتاب والغاية منه بقوله في مقدمة هذا الكتاب: "أما بعد: فإن الواجب الاشتغال بكتاب الله المنزل، وبما صح من سنة النبي المرسل، فإنهما الأصلان اللذان يقربان إلى الله بالقول

[1] المصدر السابق نفسه، ص: 48.

[2] المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها محمد يسف: 1 / 241.

[3] تنظر ترجمته في ترتيب المدارك للقاضي عياض، 181/7. والمصنفات المغربية 1/ 242.

والعمل، وقد ألفت في ذلك كتبا عديدة، قطعت لها من العمر مدة مديدة، رجوت فيها ثواب الله تعالى في الأخرى وما يقرب منه يوم الزلفى، وقد رأيت الآن أن أختم الكتاب ذلك بما خص الله به أعضاء رسوله، وما مدحها به في محكم تنزيله، وما ظهر لها من المعجزات المسندة الطرق والروايات مما استفدته شرقا وغربا من ذوي الدرايات، لينفعني الله به والقارئين له في المحيا والممات..."[1].

فمن خلال هذا النص يتبين القيمة العلمية لهذا المؤلف العظيم، والميزة الفريدة التي يكتسيها موضوعه وتخصصه، كما ينبئ عن ذلك عنوانه واسمه، ناهيك عن كون الكتاب آخر مؤلفات الإمام الحافظ الجهبذ ابن دحية الكلبي. الكلام من تعليقي

رابعا – (الموالد):

هذا فن من فنون التأليف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، اشتغل به العلماء قديما وبالأخص أعلام الغرب الإسلامي، فهم من رواده ومبدعيه الأوائل. ويؤكد اهتمامهم بهذا الجانب ما ذكره الدكتور محمد يسف عند حديثه عن هذا النوع من التصنيف عند المغاربة قائلا: "قدمت فيه خمسة مصنفات، ونبهت على أن التصنيف في المولد لم يتأخر إلى عصر الحافظ أبي الخطاب ابن دحية، وأبي العباس العزفي السبتيين، في أواخر القرن السادس، وأوائل السابع، ولكن بدأ قبل ذلك بكثير على يد الحافظ أبي زكرياء يحيى بن مالك العائدي الطرطوشي المغربي في القرن الرابع الهجري"[2]. ومن تلك النماذج التي يحسن ذكرها هنا ما يلي:

النموذج الأول: (الدر المنظم في مولد النبي المعظم) للإمام أبي العباس العزفي (ت:633هـ)، وضعه لما رأى المسلمين يعظمون أعياد النصارى وعوائدهم، وأكمله بعده ابنه أبو القاسم (ت:677هـ)، حُقّق قسم منه بجامعة محمد الخامس بالرباط ولم يطبع[3].

النموذج الثاني– (التنوير في مولد السراج المنير) للحافظ ابن دحية الكلبي رحمه الله. يبين الإمام ابن خلكان سبب تأليف الحافظ ابن دحية لهذا الكتاب قائلا: وقدم مدينة إربل في سنة أربع وستمائة، وهو متوجه إلى خراسان، فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زيد الدين رحمه الله تعالى، مولعاً بعمل مولد النبي

[1] الآيات البينات: 199.

[2] دعوة الحق، العدد: 260، ربيع النبوي 1407/ نونبر 198. وكتاب: (الدر المُنظّم في مولد النبيِّ المُعظّم صلى الله عليه وسلّم) قد طبع بتحقيق د. عبد الله حمادي، ضمن منشورات دار اليازوري الأردنية: 2016م.

[3] المرجع السابق نفسه. كما ينظر كتاب: نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي: 77. عناية وتقديم: عبد الحميد الهرامة. ط: 2. دار الكاتب طرابلس ليبيا: 2000م.

صلى الله عليه وسلم، عظيم الاحتفال به فعمل له كتاباً سماه: (كتاب التنوير في مولد السراج المنير) وقرأه عليه بنفسه، وسمعناه على الملك المعظم في ست مجالس في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وستمائة"[1].

النموذج الثالث- (إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق) للحافظ محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله، ويتبين من خلال عنوانه أنه جاء في سياق إجابة لسؤال سائل، ورد على طلب طالب.

خامسا – (تراجم الصحابة):

إن من أهم وأعظم ما كتبه علماء الإسلام في سيرة الأصحباب كتاب: "**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**" للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النّمرى، حافظ المغرب ومن لا يعرفه؟ جاء في مقدمة هذا الكتاب: "فإن أولى ما نظر فيه الطالب، وعني به العالم- بعد كتاب الله عز وجل- سنن رسوله صلَّى اللَّه عليه وآله وسلم، فهي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده، والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله، من اتبعها اهتدى، ومن سلك غير سبيلها ضل وغوى، وولاه الله ما تولى. ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم صلَّى اللَّه عليه وآله وسلم إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه..."[2].

سادسا – (المختصرات):

ومن أجل تلك المختصرات الجامعة كتاب: "**جوامع السيرة النبوية**" للإمام الحافظ الحجة ابن حزم الظاهري رحمه الله[3].

يصف هذا الكتاب محققه وأحد عمالقة تحقيق التراث الإسلامي الدكتور إحسان عباس رحمه الله بقوله: " لسنا نبعد عن الحق حين نفترض أن ابن حزم، في كتابة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يرمي إلى وضع مختصر قريب المأخذ، سهل المتناول، في أيدي طلابه، كما فعل في كثير من رسائله التاريخية، مثل رسالة "نقط

[1] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان: 3/ 449، تحيقق: إحسان عباس، ط: دار صادر- بيروت.

[2] الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: 1/1. تحقيق: محمد البجاوي. ط1. دار الجيل-بيروت: 1992م.

[3] طبع كتاب جوامع السيرة النبوية لابن حزم، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط: دار الكتب العلمية: 1424هـ-2003م.

العروس"، ورسائله في رجال القراءات، والحديث، والفتوح، وتواريخ الخلفاء؛ وأنه كان في هذا المختصر يضع الأصول التي لا يستغني عن تذكيرها أو استظهارها كل من اشتغل بالسيرة النبوية من طلاب العلم"[1].

سابعا – (دحض الشبهات ورد الأباطيل):

نال هذا الجانب حظه الكامل عند علماء المغرب وواوفوه حقه، وساقتصر هنا على ذكر نموذجين، نموذج قديم، وآخر حديث.

أما النموذج الأول فهو كتاب: (تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء)، للإمام ابن خمير السبتي (ت: 614هـ).

جاء في مقدمة هذا الكتاب بيانا وافيا لبواعث تأليفه ومراميه فيه، وفي ذلك يقول: "فإنني قد استخرت الله تعالى فِي إملاء شرح بعض آيَات رغب في إملائها بعض الطّلبة المحتاطين على الدّين، غيرة منهم على أَعراض النَّبيين لأَن لَاحَ فِي ضمنها بعض عتاب لهم، في بعض فقرات لا تغض من أقدارهم، ولا تنقص من كمالهم، ولا تقدح في عصمتهم وكريم أحوالهم، بما من الله به من فضله على من يشاء من عباده، وذلك لما سلط الله على سادات المرسلين من غثاء الفرق المضلين، من أوباش المعطلة الضالين، وأراذل اليهود والنصارى، ومقلدة المؤرخين والقصاص المجازفين الجاهلين، بحقيقة النبوة وما يجوز على أنبياء الله تعالى وما يستحيل، وما يجب على الكافة من تعزيرهم وتوقيرهم وتدقيق النظر في استخراج مناقبهم على أتم الكمال وأعمه، فتراهم يتركون ما أوجب الله عليهم من التفقة في آي القرآن من توحيد بارئهم، وتنزيهه عن النقائص، ووصفه تعالى بما يجب له من صفات الكمال والجلال، ووصف أنبيائه بالصدق والعصمة والتنزيه من الخطأ والخطل، وكذلك ما جاؤوا به من وظائف العبادات، وما أخبروا به من المغيبات والمواعظ بالوعد والوعيد، والنظر في الفرق بين الحلال والحرام والمشتبهات، إلى غير ذلك مما لا تحويه الرقوم ولا تحيط به ثاقبات الفهوم..."[2].

وأما النموذج الثاني فهو لأحد أعلام المغرب الكبار، إنه كتاب: (السيف البتار لمن سب النبي المختار) للحافظ عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله. جاء في مقدمة الكتاب: "وبعد: فقد كتب عالمان جليلان، في حادثة وقعت في زمنهما، كتابين مفيدين: أحدهما: القاضي تقي الدين السبكي، ألف كتاب: (السيف المسلول على من سب الرسول). والآخر: الحافظ تقي الدين ابن تيمية، وسمى كتابه: (الصارم المسلول على شاتم

1 جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي:، تحقيق: إحسان عباس. ط: 1. دار المعارف - مصر:1900م

2 تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، تحقيق: محمد رضوان الداية. ط: 1. دار الفكر المعاصر- لبنان: 1990م. ص: 23-24.

الرسول)، وهو مفيد جدا.. وهذا مؤلف ثالث، كتبته لحادثة أوجبته، وسميته: (السيف البتار لمن سب النبي المختار)[1].

ثامنا – (التهذيب والتخريج والتحقيق):

يمكننا هنا أن نتحدث عن جهود عالم محدث من علماء المغرب الذين وهبوا حياتهم لخدمة السنة النبوية الشريفة، إنه شيخنا العلامة المحدث سيدي عبد الله التليدي رحمه الله (2017م). وقد نالت السيرة النبوية حظها ضمن مؤلفاته وتحقيقاته وتعليقاتها، ومما يمكن إبرازه هنا والإشارة إليه، جملة من أعماله في خدمة كتب السيرة تهذيبا وتحقيقا وتخريجا لأحاديثها، ومن ذلك:

1. كتاب: **(إتحاف أهل الوفا بتهذيب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض)**. هذب مواضيعه وخرج أحاديثه واختصر أسانيده وعلق على محتواه، فأخرجه في صورة جميلة سهل المأخذ سليس العبارة، أضاف له بهاء إلى بهائه. يقول في ديباجته: "... ونقيته من كل ما يجب أن يجل عنه مقام النبوة الأشرف، ولا ينبغي أن يضاف إلى جنابه المقدس صلى الله عليه وسلم..."[2].

2. كتاب: **(تهذيب الخصائص النبوية الكبرى للحافظ السيوطي)**، انتهج فيه تقريبا نفس النهج الذي اتبعه في تهذيب كتاب الشفا، وفي بيان ذلك يقول: "وقد استخرت الله تبارك وتعالى، في دراسة (الخصائص الكبرى) للسيوطي، وتحقيقه تحقيقا يعتمد قواعد المحدثين ويعتمد الصحة والثابتَ من الروايات، والخصائص الكبرى موسوعة ضخمة في موضوع الخصائص والفضائل، هي نتاج جهود كثير من المؤلفين لزمن السيوطي، ونقده وتمييز صحيحه من الضعيف أو الموضوع أو المنكر، يوفر كثيرا من الجهود ويقرب الطريق، وإنني إذ أطمئن إلى هذا المجهود، أرى أنه مساهمة متواضعة في خدمة لسيرة رسول الله وسنته، وأرجو أن ينهض إخوتنا العلماء، بتكميل هذه البداية، وإغناء بكثير من الجهود تحقيقا للحق وإبطالا للباطل، وهذا جهد المقل..."[3].

---

[1] السيف البتار لمن سب النبي المختار، ط: مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، تطوان طنجة المغرب: 1989م، ص: 1.

[2] إتحاف أهل الوفا بتهذيب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ط: 1. دار البشائر الإسلامية بيروت. ص: 1.

[3] تهذيب الخصائص الكبرى للسيوطي، هذبه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الشيخ عبد الله التليدي، ط: 1. دار البشائر الإسلامية بيروت: 1406هـ.

الخاتمة:

في الختم ختم الله علينا بالحسنى، يمكن لنا استخلاص مجموعة من الأمور حول هذا الموضوع المتعلق بجهود المغاربة في خدمة السيرة النبوية المطهرة من أهمها:

- إن مصنفات علماء الغرب الإسلامي في مجال السيرة النبوية كثيرة لا يمكن حصرها، فمنها ما طبع ومنها ما لم يطبع ومنها ما فقد، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على العناية الكبيرة التي أولاها المغاربة لسيرة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.
- يعتبر علماء المغرب من المبرزين في هذا الجانب المبدعين في التأليف فيه، فلم يكونوا مجرد ناقلين عن غيرهم فحسب، بل كانوا محققين ومحررين، كما يتضح ذلك جليا في كتبهم.
- المؤلفات المغربية في السيرة اتسمت بالموسوعية العلمية والغزارة من ناحية المادة، واستيعاب جميع جوانب السيرة من جانب التنوع، فكل اختص بجانب لم يختص به غيره في غالب الأحيان، حسب استدعاء الواقع.
- لم يكن علماء الغرب الإسلامي مكررين ومعيدين لما كتبه غيرهم، بل تميزت جهودهم بالإبداع العلمي، وبراعة الأسلوب وعذوبة العبارة، وسهولة المأخذ، مع المنهج العلمي الرصين المؤصل.
- ينبغي للباحثين العناية بتراث علمائنا فإن لهم الخير الكثير، والباع الطويل في هذا المجال كغيره من العلوم، فعلماء الغرب الإسلامي إلى جانب كونهم أئمة في الفقه وأصوله والتفسير والحديث وعلومهما، كذلك هم أئمة في السيرة ومجالاتها وأنواعها، برَزوا في هذا الجانب وكان لإسهاماتهم خدمة كبيرة للإسلام، ولجانب سيدنا محمد الشريف عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

والله أعلى وأعلم وهو ولي التوفيق والسداد.

قائمة المصادر والمراجع:

إتحاف أهل الوفا بتهذيب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تأليف الشيخ عبد الله التليدي، ط: 1. دار البشائر الإسلامية بيروت.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط: 1. دار الجيل، بيروت: 1992م.

الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي. ط: 1. عالم الكتب - بيروت - 1417هـ.

الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء الرسول صلى الله عليه وسلم من المعجزات لابن دحية الكلبي، تحقيق: جمال عزوز. ط: 1. مكتبة العمرية العلمية: 2000م.

بدائع الفوائد لشمس الدين ابن قيم الجوزية. ط: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

بردة المديح للإمام البصيري، ص: 11. منشورات: دار التراث البوديلمي.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط: 2. دار الكتاب العربي، بيروت:1413هـ- 1993م.

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، تحقيق: محمد بن تاويت، ومحمد بن شريفة وسعيد أعراب، وآخرون.. ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب: 1403هـ- 1983م.

تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، تحقيق: محمد رضوان الداية. ط: 1. دار الفكر المعاصر- لبنان: 1990م.

تهذيب الخصائص الكبرى للسيوطي، هذبه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الشيخ عبد الله التليدي، ط: 1. دار البشائر الإسلامية بيروت: 1406هـ

جوامع السيرة لابن حزم تحقيق: إحسان عباس. ط: 1. دار المعارف- مصر: 1900م.

الدر المُنظّم في مؤلد النبيِّ المُعظّم صلى الله عليه وسلّم لأبي العباس العزفي، وابنه أبي القاسم العزفي، تحقيق د. عبد الله حمادي، منشورات دار اليازوري الأردنية: 2016م.

دعوة الحق العدد 260 ربيع النبوي 1407/ نونبر 1998م.

الرحيق المختوم للمباركفوري، ط: دار الهلال – بيروت، ط: 1. ص: 64.

الروض الأنف للإمام السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ط: 1. دار إحياء التراث العربي، بيروت: 1421هـ/2000م.

السيرة النبوية لابن هشام. تحقي: عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي: 1990م.

السيف البتار لمن سب النبي المختار للشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، ط: مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، تطوان طنجة المغرب: 1989م.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبده علي كوشك، ط1، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم: 1434هـ/2013م.

فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي، ط: 25، دار الفكر - دمشق: 1426هـ.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة: 1/ 917. ط: مكتبة المثنى- بغداد: 1941م.

المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، رقم: (100)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: 1، دار الكتب العلمية- بيروت: 1411هـ-1990م.

مسند الدارمي في مسنده المعروف بـ(سنن الدارمي) للإمام الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط:1. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية: 2000م.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها للدكتور محمد يسف، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة الرباط: 1412-1992م.

معجم المؤلفين عمر بن رضا كحالة الدمشق. ط: مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت: 1413هـ-1993م.

موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على الشبكة العنكبوتية.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي. عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد الهرامة. ط: 2. دار الكاتب طرابلس ليبيا: 2000م.

الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل الصفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. ط: دار إحياء التراث - بيروت: 1420هـ.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان: 3/ 449، تحيقق: إحسان عباس، ط: دار صادر- بيروت.